

الأقرع بن حابس التميمي

رضي الله عنه

فاتح الجوزجان

|

اللواء الركن محمود شيت خطاب

جمع وترتيب : المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي

منشور في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - المجلد 57 -

ج4- ص 666 - 689

1403هـ - 1982م

الأقرع بن حابس التميمي

فاتح الجوزجان^(١)

اللواء الركن محمود شيت خطاب

نسبه وأيامه الأولى

هو : الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم^(٢) بن خنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم التميمي^(٣) المجاشعي الدارمي . وأمه : فطيمة بنت حوى بن سفيان بن مجاشع^(٤) .
واسم الأقرع : فراس ، ولقب : الأقرع بقرع كان برأسه^(٥) ، وكان أعرج فهو من ذوي العاهات^(٦) .

(١) الجوزجان : اسم للناحية ، وهي كورة واسعة من كور (بلخ) بخمران تقع بين (مرو الروذ) و (بلخ) ، وفيها عدة مدن ، منها مدينة (الجوزجان) التي أطلق اسمها على الكورة ، وبين مدينتي (بلخ) ، والجوزجان تسعة عشر فرسخاً ، وهي ناحية كثيرة الخصب ، انظر التتاصيل في المسالك والممالك (١٥٣) ومعجم البلدان (١٦٧ / ٣) وتقويم البلدان (٤٤٤ و ٤٤٧) .

(٢) جمهرة أنساب العرب (٢٣٠) وطبقات خليفة بن خياط (١٧٨) .

(٣) الإستيعاب (١٠٣ / ٩) وأسد الغابة (١٠٧ / ١) .

(٤) الاصلابة (٥٨ / ١) وتهذيب الأسماء واللغات (١٢٤ / ١) ، وانظر طبقات خليفة بن خياط (١٧٨) حول أمه .

(٥) أسد الغابة (١٠٩ / ١) وتهذيب الأسماء واللغات (١٢٤ / ١) والمعارف (٥٧٩) والبداية والنهاية (١٤١ / ٧) .

(٦) المعارف (٥٧٩) .

كان شريفاً في الجاهلية^(٩) رئيساً على قومه ، مجوسياً^(٨) ، وكان حكيماً في الجاهلية^(٩) ؛ يقضى بين الناس ، ويفصل بين المتخاصمين ، ويحكم بالعدل ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

وقد مارس الأقرع في جاهليته الغزو لغرض السلب والنهب ، إذ خرج وأخوه في بني مجاشع من عم وهما يريدان الغسارة على بكر بن وائل ، فلقبهم بسطام بن قيس الشيباني^(١٠) وعمران بن مرة^(١١) في بني وائل (بزبالة)^(١٢) ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ظفرت فيه بكر وانتهزت تميم ، وأسر الأقرع وأخوه وهما ، الأقرعان ، وناس كثير . واقتدى الأقرعان نفسيهما من سطام وعاهداه على إرسال الفداء ، فأطلقهما ، فبعدا ولم يرسل شيئاً^(١٣) .

وهكذا كان الأقرع في الجاهلية مثلاً حياً لرئيس القبيلة العربي : انحراف الدين ، وممارسة للغارات ، ومقارعة للأخصام ، ومنازلة للشجعان ، ومصالوة للأقران ، وغدر إذا سمحت الظروف .

وفي غياب العقيدة السليمة ، ذهب مزاييا الأقرع وأمثاله أدراج الرياح ، وحطفت على الماء السيئات وبرزت وسادت ، كأن المزاييا لا وجود لها ، ولا تأثير لها

(٩) تهذيب الأسماء واللغات (١ / ١٢٤) والاستيعاب (١ / ٥٨) .

(٨) المعارف (٦٢١) والإصابة (١ / ٥٨) وابن الأثير (١ / ٥٨٧) .

(٩) سيرة ابن هشام (١ / ٨١) والإصابة (١ / ٥٨) والهير (١٨٣) و (١٣٤) .

(١٠) هو بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشيباني ، انظر تفاصيل نسبه في جمهرة انساب العرب (٢٢٦) .

(١١) هو عمران بن مرة بن الحارث بن مرة ، كان رئيساً ، انظر تفاصيل نسبه في جمهرة أنساب العرب (٣٢٥) .

(١٢) زبالة : قرية عامرة بطريق مكة من الكوفة بين واقصة والثعلبية ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤ / ٣٧٣) .

(١٣) ابن الأثير (١ / ٦٠١) .

في المجتمع الجاهلي إلا في حدود ضيقة للغاية ، فالعقيدة السليمة هي التي تشجع الانسجام الفكري بين الأفراد والجماعات وتؤدي إلى التعاون المثمر والضبط والنظام .

ولكن كما كان الأقرع وأمثاله يعانون من مثالب الجاهلية ، فقد كان يحق شخصية لامعة في محيطه ومجتمعه ، ولم يكن رجلاً مغموراً بلا غد ، بل سيّداً مطاعاً^(١٦) ، وأحد الرؤساء^(١٧) .

الصحابي

خرج رسول الله ﷺ من المدينة على رأس جيش المسلمين يريد فتح مكة ، فلحقه الأقرع ب (السُّقيا)^(١٨) ، وسار مع الجيش فشهد فتح مكة وخيئاً وحصار الطائف تحت لواء الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام^(١٩) .

وانصرف النبي ﷺ من الطائف إلى (الجُمرانة)^(٢٠) ، وأتاه هناك وقد هوازن مسلمين راغبين ، فخيرهم رسول الله ﷺ بين عيالهم وأبنائهم وبين أمسولهم ، فاختاروا عيالهم وأبنائهم ، فأمر رسول الله ﷺ أن يكلموا المسلمين في ذلك . وقال النبي ﷺ : « ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم » ، وقال المهاجرون والأنصار : أما ما كان لنا ، فهو لرسول الله ﷺ . وامتنع عيينة بن حصن^(٢١)

(١٤) البداية والنهاية (١٤٢ / ٧) .

(١٥) البداية والنهاية (١٤١ / ٧) .

(١٦) السُّقيا : قرية جامعة من عمل (التُّرْع) بينها تسعة عشر ميلاً ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٩٤ / ٥) ، وهي قرية على طريق المدينة المنورة - مكة المكرمة ، وانظر الطبري (٥٢ / ٣) حول التحصن الأقرع بالنبي ﷺ بالسُّقيا ، وانظر ابن الأثير (٢٤٢ / ٢) أيضاً .

(١٧) الاستيعاب (١٠٣ / ١) وأسد الغابة (١٠٩ / ١) والإصابة (٥٨ / ١) .

(١٨) الجمرانة : هي ماء بين الطائف ومكة وهي إلى مكة أقرب . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٠٩ / ٣) .

(١٩) انظر سيرته في : أسد الغابة (١٦٦ / ٤ - ١٦٧) .

والأقرع عن أن يردّا عليهم ما وقع لهما من الفَيء ، وساعدهما قومهما ، وامتنع العباس بن مرداس السلمي^(٢٠) ، فطمع أن يساعده قومه ، فأبوا وقالوا : بل ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، فردّ على (هوازن) نساءهم وأبناءهم ، وعوّض من لم تطيب نفسه بترك نصيبه أعواضاً رضوا بها ، وكان عدد سبي (هوازن) ستة آلاف إنسان^(٢١) .

لقد كان أحجام الأقرع وغيره عن ردة السبي لهوازن بعد تنازل النبي ﷺ عن حصّته وحصّة ذوي قرياه ورغبته في أن يفعل المسلمون ما فعله ، دليلاً على أن نكرة الجاهلية كانت لاتزال هي السائدة على الأقرع وقومه الذين معه ، فلم يكن حينئذ منضبطاً ولا ملتزماً .

ومن الأدلة على عدم انضباطه والتزامه حينذاك ، أن النبي ﷺ قسّم الأموال بين المسلمين ، ثم أعطى نصيبه من الخمس المؤلفة قلوبهم ومنهم الأقرع مائة بعير^(٢٢) ، فتألف المؤلفة قلوبهم بهذا العطاء ووكل المؤمنين حقاً إلى إيمانهم^(٢٣) ، وكان الأقرع يومئذ من المؤلفة قلوبهم^(٢٤) ، وهم جماعة من قادة العرب والأعراب ومن رؤسائهم لهم كلمة مسموعة وأثر في أتباعهم ، إذا أسلموا انقاد إليهم أتباعهم ، وإن أحجموا أحجم أتباعهم .

وقد أسلم الأقرع في شهر رمضان من سنة ثمان الهجرية (٦٢٩ م) ، سنة فتح مكة ، وكان تقسيم الغنائم في شوال سنة ثمان الهجرية ، ويبدو أن مضى

(٢٠) انظر سيرته في : أسد الغابة (١١٣ / ٣ - ١١٤) .

(٢١) جوامع السيرة (٢٤٤ - ٢٤٥) وانظر سيرة ابن هشام (١٣٥ / ٤) والطبري (٨٧ / ٣) .

(٢٢) جوامع السيرة (٢٤٦) والبدء والتاريخ (٢٢٨ / ٤) وسيرة ابن هشام (١٤٣ / ٤) وعميون

الأثر (١٩٤ / ٢) .

(٢٣) جوامع السيرة (٢٤٨) وسيرة ابن هشام (٩٤٤ / ٤) .

(٢٤) الإصابة (٥٨ / ١) وتتنظر أسماء المؤلفة قلوبهم في المعارف (٣٤٢) وانظر تاريخ ابن

خياط (٥٣ / ١) .

شهرين على إسلام الأقرع وأمثاله لم يؤثر فيها التأثير المطلوب ، قالتفاصيل في الإسلام بالتقوى وحدها لا بالنسب والحسب والنسب كما كان التفاضل في الجاهلية . وبمرور الوقت ، حسن إسلام الأقرع^(٢٥) . كما حسن إسلام المؤلفه قلوبهم من أمثاله .

وفي سنة تسع الهجرية (٦٣٠ م) ، قدم وفد بني تميم ومعهم الأقرع وعُيِّنَ بن حصن الفزاري^(٢٦) في وفد عظيم ، وكان الأقرع وعُيِّنَ قد شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحَتَمْنَا وحَضَرَا الطَّائِفَ ، فلما قدم وفد بني تميم كانا معهم . ودخل وفد بني تميم المسجد ، فنادوا رسول الله ﷺ من وراء الحُجَرَاتِ : أَنْ أخرج إلينا يا محمد ! فاذى ذلك رسول الله ﷺ ، وخرج إليهم^(٢٧) .

وفي رواية : أَنَّ الأقرع هو الذي نادى رسول الله ﷺ من وراء الحُجَرَاتِ . وقال أيضاً : « يا محمد ! إِنَّ حمدي زَيْن ، وَإِنَّ ذمي شَيْن » ، فقال رسول الله ﷺ : « ذلکم الله سبحانه »^(٢٨) .

وخرج إليهم رسول الله ﷺ ، فقالوا : نحن ناس من تميم ، جئنا بشاعرنا وخطيبنا لشاعرك ونفاخرك ! فقال النبي ﷺ : « ما بالشعر بُعِثْنَا ، ولا بالفخار أُمِرْنَا ، ولكن هاتوا ! »^(٢٩) .

وقال الأقرع لشاب من تميم^(٣٠) : « قُمْ يَا فلان ، فاذكر فضلك وفضل قومك^(٣١) » .

(٢٥) الإصابة (١ / ٥٨) .

(٢٦) انظر تفاصيل أسماء الوفد في : الطبري (٣ / ١١٥) وابن الأثير (٢٨٧ k) وابن خلدون (٢ / ٨٢٤ - ٨٢٥) .

(٢٧) الطبري (٣ / ١١٥) وابن الأثير (٢ / ٢٨٧) وسيرة ابن هشام (٤ / ٢٢٣ - ٢٢٤) .

(٢٨) أسد الغابة (١ / ١٠٧) والإصابة (١ / ٥٨) .

(٢٩) أسد الغابة (١ / ١٠٧) .

(٣٠) في الطبري (٣ / ١١٦) : ان اسمه عطارده بن حاجب بن زُرَّاده بن عَنَس التميمي .

(٣١) أسد الغابة (١ / ١٠٧) .

وقام خطيب وفد بني تميم ، فقال : « الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو أهله ، الذي جعلنا ملوكاً ، وهب لنا أموالاً عظاماً تفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عدداً ، وأيسره عدّة ، فمن مثّلنا في الناس ! ألسنا برؤوس الناس وأولي فضلهم ! فمن يفاخرنا فليعدّ مثل ما عددنا ، وإنّا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكننا غيا من الإكثار فيما أعطانا ، وإنّا نعرف . أقول هذا لتأتونا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا » ، ثم جلس (٣٢) .

وقال النبي ﷺ لخطيبه ثابت بن قيس الحزرجي الأنصاري (٣٣) : « قم فأجبه » ، فقام ثابت وقال : « الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسّع كرسيه علمه ، ولم يك شيء قط إلّا من فضله . ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً واصطفى من خير خلقه رسولاً ، أكرمهم نسباً ، وأصدقهم حديثاً ، وأفضلهم حسباً ، فأنزل عليه كتابه وأثمنه على خلقه ، فكان خيرة الله في العالمين . ثم دعا الناس إلى الإيمان ، فأمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوي رحمته ، أكرم الناس أنساباً ، وأحسن الناس وجوهاً ، وخير الناس فعلاً . ثم كان أول الخلق إجابة - واستجاب الله حين دعا رسول الله ﷺ - نحن ، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمَن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه في الله أبداً ، وكان قتله علينا يسيراً . أقول قولي هذا ، واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم » (٣٤) .

(٣٢) نص الخطاب من : الطبري (١١٦ / ٣) ، وانظر ماجاء في : أسد الغابة (١٠٦ / ١) ، وبين الخطابين اختلاف يسير .

(٣٣) انظر سيرته في : أسد الغابة (٢٢٩ / ١ - ٢٣٠) والإصابة (٢٠٢ / ١) .

(٣٤) نص الخطاب من : الطبري (١١٦ / ٣) ، وانظر ماجاء في : أسد الغابة (١٠٨ / ١) ، وبين الخطابين اختلاف يسير .

وقال بنو تميم : يا محمد ! ائذن لشاعرنا ، فقال : « نعم » ، فقام
الزبرقان بن بدر^(٣٥)
فقال :

نحن الكرام فلا حيُّ يُعَادِلُنَا منَّا الملوكُ وفيما تُنْصَبُ البيعُ^(٣٦)
وكم قُتِرْنَا من الأحياء كلهم عند النهاب ، وفضل العِزِّ يُتَمِيعُ
وحن نَطْعُ عند القُحْطِ مُطْعِمُنَا من الشَّوَاءِ إذا لم يُسَوِّسِ القَرْعُ^(٣٧)
بما تَرَى الناسَ تَسْأَتُنَا سِرَاتَهُمْ من كل أرضٍ هَوِيًّا ثم نَضْطَبِعُ^(٣٨)
فَنَنْخِرُ الكومَ عِبْطًا في أرومتِنَا للنَّازِلِينَ إذا ما أُنْزِلُوا شَبْعِمَا^(٣٩)
فلا تَرَانَا إلى حيٍّ نَفَاخِرُهُمْ إِلَّا اسْتَقَادُوا وكَادَ الرُّؤْسُ يُقْتَطِعُ
إِنَّا أَيُّنَا وَلَنْ يَأْبَى لَنَا أَحَدٌ إِنَّا كَذَلِكَ عند الفَخْرِ تَرْتَفِعُ
فَنُفَادِرُنَا في ذاك يَعْرِفُنَا فيرجعُ القول والأخبارُ تُسَمِّعُ

وكان حنَّ بن ثابت الأنصاري شاعر النبي ﷺ غائباً ، فبعث إليه رسول
الله ﷺ . قال حنَّان : « فلما جاءني رسوله فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر
بنِي تميم ، خرجت إلى رسول الله وأنا أقول :

مَتَعْنَا رسول الله إِذْ حَلَّ وَسَطْنَا على كلِّ باعٍ من مَقَدٍّ وَرَاعِمٍ
مَتَعَّنَادًا لَمَّا حَلَّ بَيْنَ يَتَوَتْنَا بأسيافنا من كلِّ عَادٍ وظَالِمٍ

(٣٥) انظر سيرته في : أسد الغابة (٢ / ١٩٤) وتهذيب الأسماء واللغات (١ / ١٩٣) . وفي : أسد
الغابة (١ / ١٠٨) الزبرقان قال لرجل منهم : « قم فقل أبياتاً تذكر فيها فضلك وفضل
قومك » .

(٣٦) البيع : مواضع الصلوات والعبادات ، واحدها بيعة .

(٣٧) القَرْع : السحاب الرقيق .

(٣٨) هَوِيًّا : سراعاً .

(٣٩) الكوم : جمع كوما ، وهي العظيمة السنام من الإبل . وعبط : من غير علة . أرومتنا :
أي هذا الكرم متأصل فينا .

بَيَّهَتْ خَيْرُ سِدِّ عَزْرَه وَثَرَاهُ بِجَايَةِ الْجَوْلَانِ وَسَطِ الْأَعَاجِمِ^(٤١)
هَلِ الْمَجْدُ إِلَّا السُّوْدُودُ الْعَوْدُ وَالنَّدَى وَجِسَاءُ الْمُلُوكِ وَاحْتِمَالُ الْعِظَامِ

قال حسّان : فلما انتهيت إلى رسول الله ﷺ ، وقام شاعر القوم فقال
ما قال ، عرضتُ في قوله وقلت على نحو مما قال .

إِنَّ الذُّوَابَ مِنْ فُهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ قَدْ يَبْئُتُوا سُنَّةَ لِلنَّاسِ تَتَّبِعُ^(٤١)
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ تَقْوَى الْإِلَهِ وَكُلُّ الْخَيْرِ يُصْطَنَعُ
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَوْا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةَ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُحَدِّثَةٍ إِنَّ الْخَلَائِقَ فَاعِلِمُ شَرِّهَا الْبِدْعُ
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ شَبَاقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلُّ سَبْسُقٍ لَأَدْنَى سَبْغِهِمْ تَبَسُّعُ
لَا يُرْقِعُ النَّاسُ مَسْأَلُوهُمْ أَكْفُهُمْ عِنْدَ الدَّقَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَارَقَعُوا
إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبْغُهُمْ أَوْ وَارَنُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالنَّدَى مَتَعُوا^(٤٢)
أَعْقَسَةُ ذِكْرَتْ فِي الْوَحْيِ عَقَّتَهُمْ لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يُرْدِيهِمْ طَمَسَعُ^(٤٣)
لَا يَبْخَلُونَ عَلَى جَسَارٍ بِفَضْلِهِمْ وَلَا يَمْسَهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَسَعُ^(٤٤)
إِذَا تَصَبَّسَا لِحْيَ لَمْ تَدِبْ لَهُمْ كَا يَدِبُ إِلَى الْوُخْثِيَةِ الذَّرْعُ^(٤٥)
تَسْمُو إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْنَا مَخَالِيهَا إِذَا الزَّعَانِفُ مِنْ أَطْفَارِهَا خَشَعُوا^(٤٦)
لَا فُخْرَ إِنَّهُمْ أَصَابُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ وَإِنْ أَصَابُوا فَلَا خُورَ وَلَا هُلُوعُ^(٤٧)

(٤٠) البيت الحريد : الفريد .

(٤١) الذوآب : السادة ، انظر ديوان حسّان (٢٤٨) .

(٤٢) متعوا : زادوا .

(٤٣) الطبع : الناس . ولا يطبعون : لا يدنسون .

(٤٤) الطبع : الناس .

(٤٥) تصبنا : أظهرنا العداوة ومُ نسرنا . والذرع : وتد البقرة الوحشية .

(٤٦) الزعائف : أطراف الناس وأتباعهم . وخشعوا : قتلوا .

(٤٧) الخور : الضعفاء . والهلع : جمع هلوع ، وهم المجازعون .

كأنهم في السوغى والمسون مكنّتع
 خذ منهم ما أتوا عفواً إذا غضبوا
 أسد بخليصة في أرساغها قدنع^(٤٨)
 ولا يكن هك الأمر الذي منعوا^(٤٩)
 شراً يخاض عليه السم والسلع^(٥٠)
 إذا تفرقت الأهواء والشئع
 أهدى لهم مدحتي قلباً يوازره
 فيها أحب لسان حائك صنع^(٥١)
 فإنهم أفضل الأحياء كلهم
 إن جد بالناس جد القول أو شمعوا^(٥٢)

فلما فرغ حسان من قوله ، قال الأفرع : « إن هذا الرجل لمؤق له »^(٥٣) ؛
 لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أعلى من
 أصواتنا »^(٥٤) .

وفي رواية ، أن الأفرع قام فقال : « إني والله يا محمد ! لقد جئت لأمر ما
 جاء له هؤلاء ! قد قلت شعراً ، فاسمعه » فقال : « هات » ، فقال^(٥٥) :

(٤٨) مكنّتع : دان . وحلية : مأسدة بالين . والأرساغ : جمع رسع ، وهو موضع القييد من
 الرجل . قدنع : اعوجاج الى ناحية .
 (٤٩) عفواً : من غير مشقة .
 (٥٠) يخاض : يخلط . والسلع : نبات مسموم .
 (٥١) صنع : يحسن القول ويحيده .
 (٥٢) شمعوا : هزلوا . وأصل الشمع : اللهب والطرب .
 (٥٣) مؤق له : موفق .

(٥٤) الطبري (١١٧ / ٣) ، وانظر ماجاء في سيرة ابن هشام (٢٢٢ - ٢٢٩) وابن الأثير
 (٢٨٩ - ٢٩٦ / ٣) أسد الغابة (١٠٧ / ١) مع اختلاف في السياق والشعر غير يسير .
 وما جاء في المتن نقلاً عن الطبري .

(٥٥) أسد الغابة (١٠٨ / ١) ، وفي سيرة ابن هشام (٢٣٠ / ٤) : أن الزبرقان بن بدر هو قائل
 هذا الشعر .

أَتَيْتُكَ كَمَا يَعْلَمُ النَّاسُ فَضَلْنَا إِذَا احْتَفَلُوا عِنْدَ احْتِضَارِ الْمَوَاسِمِ^(٥٦)
 بِأَنَّا فَرَّعَ النَّاسَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَأَنْ لَيْسَ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ كَسَادُومِ^(٥٧)
 وَأَنَّا نَسُودُ الْمُعْلَمِينَ إِذَا اتَّخَوْا وَنَضْرِبُ رَأْسَ الْأَصِيدِ الْمُتَغَامِ^(٥٨)
 وَإِنَّ لَنَا الْمِزْبَاعَ مِنْ كُلِّ غَارَةٍ نَغْيَرُ بِنَجْدٍ أَوْ بِأَرْضِ الْأَعَاجِمِ^(٥٩)

وقام حسان بن ثابت فأجابه قائلاً :

هَلْ الْمَجْدُ إِلَّا السُّودَةُ الْقَوْدُ وَالنَّدَى وَجَاءَهُ الْمَلُوكُ وَاحْتَالَ الْعِظَامُ^(٦٠)
 نَضْرَبُهَا وَأَوَيْتُهَا النَّبِيَّ عَمَّاداً عَلَى أَقْبَى رَاضٍ مِنْ مَقْبُودٍ وَرَاغِمِ
 بِحَيٍّ حَرِيْدٍ أَصْلُكِيَّةٍ وَثَرَاوَةٍ بِجَنَابَةِ الْجَوْلَانِ وَسَطِ الْأَعَاجِمِ^(٦١)
 نَضْرَبُهَا لِمَا حَلَّ وَشَطَطِ دِيَارِنَا بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمِ
 جَعَلْنَا بَيْنَنَا وَدُونَهُ وَبَنَاتِنَا وَطِينًا لَهُ تَفْأُ بِقَى الْمَغَانِمِ

(٥٦) المواسم : جمع موسم ، وهو المكان الذي يجتمع الناس فيه كل سنة ، مثل موسم الحج ، وموسم عكاظ .

(٥٧) داروم : من بقي قديم .

(٥٨) المعلمين : الذين يعيرون أنفسهم بعلامة يعرفون بها ، ليطعن الناس على بلادهم في الحرب .
 انتغوا : تكبروا وأعجبوا بأنفسهم . والأصيد : المتكبر . والمتغام : المتعظيم .

(٥٩) الميزباع : ربح الفخية .

(٦٠) القود : التمدد ، والذي يتركز على الرمان . والندى : الكرم والعطاء . والعظام : جمع عظيمة .

(٦١) حريد : منفرد لا يختلط بغيره لمزته . وجابية الجولان : موضع بالشام ، وأصل الجابية : الحوض الكبير .

وَحَنَ شَرُّكَ النَّاسِ حَتَّى تَسَاعُوا ۖ عَنِ عَيْشِهِ بِأَرْهَافَاتِ لُصُورِهِمْ ۖ^{٦٢}
 وَحَنَ وَدُنَا مِنْ قُرَيْشٍ عَطِيئُهُ ۖ وَلَسَدْتُ نَبِيَّ الْخَيْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ۖ^{٦٣}
 نَسِيْتُ ذَرْمٍ لَا تَفْخَرُوا ، إِنِّي فَخَرْتُكُمْ ۖ يَعُودُ وَبِئْسَ عَنْدَ ذِكْرِ الْمَكَارِمِ
 هَبْلُنْتُ عَنْتُمْ ۖ تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمْ ۖ لَسَا حَوْلَ مَا بَيْنَ طُغْرِ وَغَسَادِمٍ ۖ^{٦٤}
 فَإِنْ كُنْتُمْ حَتُّمٌ حَقْنُ دِمَائِكُمْ ۖ وَأَمُولُكُمْ أَرْتَفَعُوا فِي مَقَالِسِ
 فَلَا تَجْعَلُوا لَكُمْ نِسَاءً وَأَنْتُمْ ۖ وَلَا تُتَسَوَّأُوا زَيْلًا كَزَيْلِ الْأَعْجَامِ

وهما فرع حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع : « إِنَّ هَذَا الرَّجُلُ مُؤَقَّ ۖ
 خطبه أخطب من حطينا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أعلى من
 أصوات » فأنسهم لفود ، وجوهرهم رسول الله ﷺ ، فاحسن جوهرهم ،^{٦٥} وكان
 الأقرع هو لذي رادر يعلان إسلامه ، فقال : « شَهِدَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْتَ يَسُودُ
 اللَّهُ » ، فقتل رسول الله ﷺ ، لا يضررك ما كان قبل هذا »^{٦٦} .

ولا شك في قدومه وقد بنى تميم على النبي ﷺ في عام الوفود ، أي في سنة
 تسع الهجرة كما سبق ذكره ، وقد نزل في هذا الوفد قرآن هو قوله تعالى : (يَنْ
 لِدِينٍ يُنْشِدُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)^{٦٧} ، كما أن المصادر المعتمدة
 تجمع على قدومه ، كما تجمع على قدوم الأقرع مع الوفد .

(٦٢) مرهفات لصورهم : السيوف المحددة المقطعة .

(٦٣) ودنا نبي الخير : ذلك لأن أم عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ كانت من بني النخار من
 الأنصار .

(٦٤) هبته : قدومه ، والظئر : التي ترصع ولد غيرها وهي تأخذ على ذلك حرأ ، وأصبه : لدقة
 التي تعطف على ولد غيرها . والحادم : يقب للذكر والأنثى .

(٦٥) سيرة بن هشام (٤ / ٢٢٠ - ٢٢٢) ، ونظر أسد الغابة (١ / ١٠٨ - ١٠٩) مع اختلاف في
 عدد أبيات الشعر

(٦٦) أسد لغاية (١٠٩ ، ١) .

(٦٧) الآية الكريمة من سورة حجرات (٤٩ : ٤) ، انظر سيرة ابن هشام (١ / ٢٢٢)
 والاسماعيل (١ / ١٠٣) ، وأسد الغابة (١ / ١٠٩) ، ويطرى (٣ ، ١٢٠) وابن الأثير (٢ / ٢٩٠) .

وكن انتك في فصوص القصة وخصب الي قبيل في ثناء احتاج الي
 صوته راوفا ، فهذه اختلاف في كمال لشعر وخطب وفي قائلها إذ تنسب قس
 من المصادر المتعددة الشعر بن لزمرفسان باردة وإلى الأفرع تارة وإلى
 قيس بن عاصم^{٦٨} تارة أخرى

ومن صدق ما فيس من شعر والسر ، يصر أن لنميق سدي يحتاج إلى
 اروة ولا يستقيم مع لارحال ، مما قيل اشبه بالأعمال لأندية لمدرّة لا حوادث
 لتاريخ انصافية .

ويسمى أثر الأفرع في الوعد ، فهو الذي ستحبه على القسوم ، وهو الذي
 حبب إليه الإسلام ، وهو الذي بيع النبي صلى الله عليه وسلم قبل أعضاء الوعد
 ليقصدوا به ويقفوا أثره ، فجمع في ريادته أعظم لنجاح .
 لقد كان الأفرع رئيساً من رؤساء قبائل الأعراب ، يحب هذا الفخر كما يحبه
 غيره من الرؤساء .

وكان نبي^ص يتألفه بكرام وودته ونبول رحائه ، وبطهاد وامل ، كما
 يتألف أمثاله من المؤلفة فوهم .

فقد عنت لنبي^ص غبيثة بن حصن لغزاري على رأس سرية إلى بني عيم في
 بين (استقيا) وأرض بني تميم ، وذلك في المحرم من سنة تسع الهجرية (٦٣٠ م) .
 فأمر أحد عشر رجلاً وأحدى عشرة امرأة وثلاثين صبياً ، فعاءه الأفرع مع قسم
 من رؤساء بني تميم ، ورجوه أن يطلق سراح الأسرى ، فردّ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم^{٦٩}
 الأسرى والنسي^{٧٠} .

وأرس عتي بن أي طالب رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم سديته من أهر ،

(٦٨) انظر سيرته في أسد الغابة (٤ ، ٢٢٩ - ٢٣٠) .

(٦٩) انظر لتعاصيص في طبقات ابن سعد (٢ ، ١٦٠ - ١٦١) ومعارف الواقسي

(٣ ، ٩٧٤ - ٩٧٥) .

فقسمها بين أربعة أحدهم الأقرع^(٧١)، وكانت سرية عبي بن أبي طالب إلى النين سنة عشر المحررة^(٧٢) (٦٣١ م) .

والنحو النبي ﷺ بالرفيق الأعلى ، بعد أن حظي الأقرع برعايته ، وسال شرف صحته ، والجهد تحت ريته .

المجاهد

شهد الأقرع تحت لواء الرسول القائد فتح مكة وغزوة (حنين) وحاصر الطائف ، كما ذكرنا .

وشهد تحت لواء خالد بن الوليد (البهجة)^(٧٣) وهي المعركة التي بين المسلمين من جهة بقيادة خالد بن الوليد وبين المرتدين من بني حنيفة بقيادة مسبمة الكدّاب ، وذلك سنة إحدى عشرة هجرية^(٧٤) (٦٣٢) ، كما شهد مع خالد غيرها^(٧٥) من جروب الردة .

وسار مع خالد إلى العراق ، وشهد معه المشهد كلها ، وفي فتح (الأنبار)^(٧٦) كان وعلى مقدمته الأقرع ، فاما بلغها خالد طوق المدينة وأنشب القتال ، وكان قليل الصبر عنه . وأمر خالد رماة أن يصوبوا على عيون أعدائهم ، فرموا رشقاً واحداً ، ثم تابعوا فأصابوا ألف عين ، فسميت تلك الواقعة : (ذات العيون) ، وأحيراً استسلم الفرس فصالحهم خالد^(٧٧) .

(٧٠) الإصابة (١ / ٥٨) .

(٧١) طبقات ابن سعد (٢ / ١٧٠) ومغازي الواقدي (٣ / ١٠٧٩) .

(٧٢) لإصابة (١ / ٥٩) .

(٧٣) انظر التمهيد في ابن الأثير (٢ / ٣٦٠ - ٣٦٧) .

(٧٤) الإصابة (١ / ٥٩) وابن خلدون (٢ / ٨٧٥) .

(٧٥) لأسدر : مدينة عبي الفرات غربي بغداد ، بينها عشرة فراسخ ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (١ / ٣٤٠) وهي مدينة الفلوجة .

(٧٦) أنظر التفاصيل في الطبري (٣ / ٣٧٣ - ٣٧٦) وابن الأثير (٢ / ٣٩٤ - ٣٩٥) وابن خلدون

(٢ / ٨٩٤ - ٨٩٥) .

وسار خالد إلى (عين التمر ^(٧٦)) وفيه قوات فارسية وعربية تدفع عنها ، فكتسبها حالد عتوة ^(٧٧)

وكان عبيد بن عثم المهري لقرتي ^(٧٨) ، قد سار إلى (دومة الخندل) ^(٧٩) ليحصع ههه التمرين ، ثم يسير منها شرقاً إلى هدفه في فتح عراق بـالتعاون مع خالد بن لويده ^(٨٠)

ولكن عبيد لم يستطع فتح (دومة الخندل) ، فكتب إلى حالد بعد أن عجز عن فتحه يستدده على من يرانته من العدو ، وكان حالد قد فرغ جيداً من فتح (عين التمر) ، فسار سيراً حثيثاً نحو عداض ، فلم وصل (دومة الخندل) وحده عيناها ف حاصر ههه وحصروه ، وقد أخذوا عليه الطريق وشجوه وشحوا به ، فجعل خالد (دومة الخندل) بين عسكره وعسكر عبيد .

وخرج أهلها بقتال المسمين ، ولكنهم لم يلبثوا أن انهزموا إلى الحصن ، فب امتلاً بالناس ، أعقب من فيه أبوابه دور أصحابهم وتركهم عرضة للقتل والأسر .

وأطاف خالد باب (الحصن) ، ثم أمر به فاقتلع ، وافتحم المسلمون على من فيه وقتلوا المقتنله كافة إلا أسرى بي كلب الذين أمنهم سونيم وعلى رأسهم الأقرع ^(٨١) بعد أن قتل أحد قادة (دومة الخندل) ^(٨٢) .

(٧٧) عين التمر : بلدة قريبة من أنبار عري الكوفة ، بقربها موضع يقدر له (شفا) ، التفصيص في معجم البلدان (٦ / ٢٥٣) ، ولا تزال آثار الحصن باقية حتى اليوم ، ويسمى :

قصر الأخيضر . وقد طبق عليه هذا الاسم بعد الإسلام ، حيث كان الحصن قبيل الإسلام .

(٧٨) انظر التفصيل في بطري (٣ / ٣٧٦ - ٣٧٧) وابن الأثير (٢ / ٣٩٤ - ٣٩٥) .

(٧٩) انظر سيرته القصصة في كتاب : قادة فتح ، العراق و الجزيرة (٤٦٩ - ٤٧٩) .

(٨٠) دومة الخندل : حصن على سبع مراح من دمشق ، تقع بين دمشق ودمشق ودمشق ودمشق ،

انظر التفصيص في معجم البلدان (٤ / ١٠٦) .

(٨١) ابن الأثير (٢ / ٣٨٤) .

(٨٢) بطري (٣ / ٣٧٩) .

(٨٣) بطري (٣ / ٣٧٨) .

وفي رواية : أنَّ الأفرع كان مع شرحبيل بن حسنة^(٨٤) في (دومة الجندل)^(٨٥) ، ولم يكن شرحبيل في (دومة الجندل) بعد حروب نردة ، من قصدها غيصر بن غنم ، لذلك لاصحة هذه الرواية .

وعاد خالد على رأس قوات المسلمين بعد استعادة فتح (دومة الجندل) إلى العراق ، وكان معه الأفرع الذي شهد مع خالد معارك حرب العراق ، وكان ذلك سنة ثني عشرة لهجرية (٦٢٢ م) .

وفي سنة ثلاث عشرة الهجرية (٦٢٤ م) ، أمر أبو بكر ، لصديق رضي الله عنه خالد بالسير إلى الشام من العراق ، وأن يأخذ نصف الناس ويستحلف على النصف الآخر الثنني بن حارثة الشيباني^(٨٦) ، ولا يأخذ من قومه مجدة ، ولا ويترك عند الثنني مئة . ولكن خالد استأثر أصحاب النبي ﷺ على المشي ، وترك لعمى عداهم من أهل الفناعة من ليس له صحبة ، ثم قسم الجند قسمين ، فقال لثنني : والله لا أقم إلا على إنقاذ أمر أبي بكر ، وبالله ما أرجو البصر إلا لأصحاب النبي ﷺ ، فما رأى خالد ذلك أرضاه^(٨٧) .

وليس لدينا نص صريح يصرح بأن خالداً أخذ معه الأفرع من العراق إلى الشام ، ولكن هناك دلائل تدل بوضوح على أنَّ الأفرع كان مع خالد في رحلته العسكرية من العراق إلى الشام ، فقد كان الأفرع موضع ثقة خالد ، ويوليه المبادرات في حروبه كما رأينا في معركة فتح الأنبار ، ويحقن دماء بني كلب لرجاء الأفرع ، ويوليه قيادة المقدمة بعد عودته من (دومة الجندل) إلى العراق ذية^(٨٨) .

(٨٤) انظر سيرته في كتابت : قادة فتح الشام ومصر (١١٣ - ١١٩) .

(٨٥) ابن حدود (٢ / ٨٧٥) والإصابة (١ / ٥٩) .

(٨٦) انظر سيرته لمفصلة في كتابت : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٧ - ٥٠) .

(٨٧) ابن لأثير (٢ / ٤٠٧) .

(٨٨) الطبري (٢ / ٣٨٠) .

كما أنَّ الأقرع صحابي جليل يحبُّ أن يستأثر به خالد ، وكان الأقرع مع خالد في حروب الردة وفي معارك العراق ، وقد عرف كل واحد منها مزايا صاحبه وأساليبه القتالية نتيجة لرفقة السلاح أمداً طويلاً .

فمن المتوقع أن يستأثر به خالد ، وأن يُقر الأقرع هذا الاستئثار طائعا مختاراً .

ولعلَّ مما يؤيد هذا التوقع ما ورد في بعض المصادر المعتبرة ، أنَّ الأقرع استشهد في معركة (اليرموك)^(٨٩) الحاسمة ، تلك المعركة التي فتحت أبواب أرض الشام على مصراعها للفاتحين المسلمين ، ومعنى ذلك أنَّ الأقرع شهد تلك المعركة ، فأخطأ من ذكر استشهاده فيها أو عده بين شهدائها ، ولكنه لو لم يشهد تلك المعركة لما جاء ذكره بين أسماء الشهداء .

وعاد أهل العراق الذين شهدوا معركة (اليرموك) في أرض الشام إلى العراق ، فوصلوا في اليوم الثاني من أيام معركة (القادسية) المشهورة : أي يوم (أغواث) ، فشهدوا هذه المعركة الحاسمة التي كانت بقيادة سعد بن أبي وقاص^(٩٠) ، وأبلوا فيها أعظم البلاء^(٩١) ، وكان ذلك سنة أربع عشرة الهجرية (٦٣٥ م) .

ولم يرد للأقرع ذكر في (القادسية) ، فما كل من شهدا ورد ذكره .

وسكت المؤرخون عن أخبار الأقرع وبخاصة جهاده ، ولكن قوم الأقرع بني تميم كان لهم جهاد مشهود في أرض فارس ، بقيادة الأخنف بن قيس التميمي^(٩٢) وغيره من بني تميم ، فليس من المعقول أن يبقى الأقرع بعيداً عن ميدان الجهاد .

(٨٩) الإصابة (١ / ٥٩) ، فقد ورد فيه : « وقرأت بخط الرضى الشماطى : فتيقن الأقرع بن حابس باليرموك في عشرة من بنيه » .

(٩٠) انظر سيرته في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٢٤٨ - ٢٩٦) .

(٩١) الطبري (٣ / ٥٤٣) وابن الأثير (٢ / ٤٧٢) .

(٩٢) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح بلاد فارس (٢١٥ - ٢٤٦) .

وصحابة برز اسم 'الأفرع قائداً فاحشاً' ، فقد عاهد الأحنف بن قيس التميمي إلى مدينة (مزو الرود) ، عداً ، تنصر على أعدائه تنصراً سحفاً ، فلحق قسم من أعدائه (الخوارج) ، فوجه إليهم 'الأحنف' الأفرع على حين وقال : « يا بني تميم ! تحبوا وتبادلوا تعبد أموركم ، وبدأوا بجهاد بطونكم وفروحكم يصلح لكم دينكم ولا تغمؤا بسه لكا جهدكم »^{٩٢} .

وسار الأحنف ، فلقى لعدو بالخوارج ، فكانت بالمسلمين جولة ، ثم عادوا وفتحوا الخوارج عبوة^{٩٣} ، فقال كثير الهشلي

سقى مــــــن لــــــحــــاب إذا ســــــتــــهــــلت

مصارع فتبسة الجوزجـال

إلى القصرين من رــــشــــق حــــســــوط^{٩٤}

أقــــبــــدهم هــــنــــالك لأفرعــــين^{٩٥}

وكان فتح الجوزجال سنة إحدى وثلاثين لهجرية^(٩٦) (٦٥١ م) ، أو سنة اثنين وثلاثين لهجرية^(٩٧) (٦٥٢ م)

وبدو أن الخوارج انتفضت ، فسبّره عبد الله بن عامر^(٩٨) على رأس جيش إلى الخوارج ، فأصيب بالجوزجال هو والحيش^(٩٩) وذلك في زمن عثمان بن عفان

(٩٢) لانغو : لانحوو في المعجم وغيره .

(٩٤) ابن الأثير (٣ / ١٢٦) وابن خلدون (٢ / ١٠١٣) ولبلاذري (٥٧٣) .

(٩٥) خطوط : قرية من قرى نسخ ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣ / ٤٩١)

(٩٦) لطري (٤ / ٣١٣) .

(٩٧) ورد ذلك في حوادث إحدى وثلاثين الهجرية في ابن الأثير (٣ / ١١٧ - ١٢٠) وانظر بداية ونهاية (٧ / ١٦٠)

(٩٨) ورد ذلك في حوادث اثنين وثلاثين هجرية في لطري (٤ / ٣٠٤ - ٣١٦) .

(٩٩) انظر سيرته المفصلة في هذا الكتاب .

(١٠٠) أسد العادة (١ / ١٠٩ - ١١٠) .

رضي الله عنه^(١٠١) . وقد استشهد عثمان سنة خمس وثلاثين الهجرية^(١٠٢) (٦٥٥ م) ، ومعنى ذلك أن استشهاده الأقرع كان سنة ثلاث وثلاثين الهجرية أو أربع وثلاثين الهجرية أو خمس وثلاثين الهجرية ، فانتهت باستشهاده صفحة من صفحات البطولة العربية الإسلامية .

الإنسان

كان الأقرع في الجاهلية رئيس دارم من بني تميم ، وكان من رؤساء بني تميم ومن المقدمين فيهم ، وبقي على منزلته في الرئاسة والشرف في الإسلام ، فكان شريفاً في الجاهلية والإسلام^(١٠٣) .

وكان في الجاهلية مجوسياً ، وكان بنو تميم قضاء موسم الحج وعكاظ ، وقد اجتمع للأقرع قضاء الموسم وعكاظ ، وكان آخر القضاء في الجاهلية ثم أدرك الإسلام^(١٠٤) .

وتوليه منصب القضاء في الموسم وفي عكاظ دليل على رئاسته وشرفه ، كما أن إعطائه مائة من الإبل مع المؤلفة قلوبهم^(١٠٥) دليل آخر على منزلته العالية في الجاهلية والإسلام .

وقد أسلم وحسن إسلامه^(١٠٦) ، ووفد على النبي ﷺ مع وفد تميم عام الوفود ، ونال شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد عليه الصلاة والسلام ، ولم يرتد^(١٠٧) بعد أن التحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى .

(١٠١) الإصابة (٥٩ / ١) .

(١٠٢) الطبري (٤١٥ / ٤) والبداية والنهاية (١٩٠ / ٧) .

(١٠٣) أسد الغابة (١٠٩ / ١) والإصابة (٥٨ / ١) وتهذيب الأسماء واللغات (١٢٤ / ١) .

(١٠٤) المختار (١٨٢ - ١٨٣) .

(١٠٥) الشعر والشعراء (٢١٨ و ٢٣٤) .

(١٠٦) الإصابة (٥٨ / ١) .

(١٠٧) البداية والنهاية (١٤٢ / ٧) .

وذكر في رسالة النبي ﷺ في يوم من الأيام ، فصار النبي ﷺ نقدر
 حسن ، وفي رواية أخرى ، فقال لأفرع : إنني من لؤي عسيرة ، ما
 فئتُ واحد منهم ، فقال رسول الله ﷺ : « من لا رحم لا يرحم » . وفي
 روايته أن النبي ﷺ قال لأفرع : « ما أمست أن يسرع الله لرحمة من
 فسك » .

وقسوته لداعة دليل على بداوته لتصرفه ، فهو مثال للأعرابي في شدته
 وتطرفه آنفئ جعلت فيه يحف من لشقة و الحما

و حين ارتأ الناس في أول عهد أبي بكر لصديق رضي الله عنه ، وفد لأفرع
 إلى أبي بكر الصديق ومعه الزبير بن بدر التميمي وقال له : « اجعل لنا خرج
 (البحرين) ونصن لك ألا يرجع من قومنا أحد : ففعل وكتب لكتب ، وكان
 لدى يختف بينهم طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أحد عشرة المبشرين بالجنة ،
 وأشهدوا شهوداً على ما جاء في الكتاب أحدهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
 وخمل الكتاب إلى عمر ليشهد ، فنظر فيه ولم يشهد قائلاً : « لا والله ولا
 كرامة » . ثم مرق لكتب ومعه . وعضب طلحة ، فدنى أبو بكر وقال : « ألب
 الأمير أم عمر ؟ » . فقال : « عمر » غير أن لطاعته في « ، فسكت طلحة »^(١١١) .

وفد استطاع غيبة بن حصن والأفرع أن يكر الصديق رضي الله عنه أرباً ،
 فقال لهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « بما كان لئني ﷺ يسألكما على
 لإسلام ، فأمد ، لأن فجهده جهداً »^(١١٢) . ذلك لأن لإسلام أصبح قوياً وأصبح
 المسمون كثيرين . فلم يبق حاجة لدفع لأموال لمؤلفة قلوبهم .

(١٠٨) الحسن بن علي بن طالب رضي الله عنه .

(١٠٩) أسد الغابة ، ١ / ١٠٩ (والإصابة ١ / ٥٨) .

(١١٠) لمداية وللهاية (١٤١ / ٧) .

(١١١) الطبري (٣ / ٢٧٥) .

(١١٢) الإصابة (١ / ٥٩) .

وكان بليغاً في حديثه ، فقد أخذ غَيِّثَةَ بن حِصْن عَجُوزاً من سبي هوازن في غزوة (حَتْن) وقال حين أحدها : « أرى عَجُوزاً وأرى لها في الحى نسباً ، وعسى أن يعظم فداؤها » ، فلما ردَّ رسول الله ﷺ السبايا لست فرائض^(١١٣) ، أبى غَيِّثَةَ أن يرد عَجُوزَه ، فقال له زهير أبو صُرْد^(١١٤) : « خُذْهَا عَنْكَ ، فوالله ما فوها يبارد ، ولا تُدَيِّهَا بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا درها بماكد^(١١٥) ، ولا روجها بواجد^(١١٦) » ، فردَّها غَيِّثَةُ بست فرائض حين قال له زهير ما قال . ولقي غَيِّثَةَ الأقرع ، فشكا له ذلك ، فقال الأقرع : « والله إنك ما أخذتها بكراً غريبة^(١١٧) ، ولا نَصّاً وثيرة^(١١٨) » ، وقد كان شاعراً ، وذكرنا شيئاً من شعره سابقاً .

لقد كان الأقرع من خير مسلمي رؤساء وشيوخ وسادة الأعراب ، شجاعاً مقداماً ، شهأً غيوراً ، كريماً سخياً ، يحب هذا الفخر ويهواه ، ويحب هذا المال ويريدَه ، يدافع عن رجاله ويحرص على حقوقهم ، فلا عجب أن يفخر الشاعر الفرزدق بعنه الأقرع ، فيقول :

وعند رسول الله قسام ابن حباب
بخطبة أسوار إلى المجد حمازم
له أطلق الأسرى التي في قيسودها
مفللة أعناقها في الشكالم^(١١٩)

وكانت هَيْثِدَةُ بنت ضَعْفَةَ عمة الفرزدق تقول : « من جاءت من نساء العرب بأربعة كأربعي ، يجلُّ لها أن تَضَعَ خِمَارَها عندهم ، فصِرَفتي^(١٢٠) لها : أبي

(١١٣) الفرائض : جمع فريضة ، والفريضة : المينة من الإبل .

(١١٤) انظر سيرته في : أسد الغابة (٢ / ٢٠٨) .

(١١٥) الماكد : الغزير .

(١١٦) واجد : حزين .

(١١٧) غريبة : الصغيرة السن من النساء .

(١١٨) الطبرى (٣ / ٨٨) ، والوثيرة : الممينة .

(١١٩) الإمابة (٦ / ٥٨) .

(١٢٠) الصرمة : القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الثلاثين ، وقيل غير ذلك .

صفهنة ، وأخي غائب ، وخالي الأفرع بن حابس ، وزوجي
لربرقان بن بدره ، فسميت : ذات الحمار^(١) .

ولا أحد يعرف متى وُلد لأفرع ، فقد وُلد في الحديبية . وولد أمته
كثيرون وماتوا دون أن يعرف سنة قدمهم ولا سنة رحيلهم شيئاً ، فله يكن لهم
في جاهليتهم وزن ولا قيمة ، فلما أسلم منهم من بقي على قيد الحياة ، أصبح هم
بالإسلام ورت وقية في محلات الحبة الجديدة : عسكرية في الفتح وجهود ،
ومدنية في العلم والإدارة ، فعرف موت لأفرع في ساحات المعركة شهيداً سنة ثلاث
وثلاثين أو أربع وثلاثين وخمسة وثلاثين الهجرية .

لقد أكرمه الله بالشهادة ، فبالدرجة تشهداء الأبرار ، وبقي اسمه في
التاريخ وسبق ما بقي لتاريخ .

ومن حق أهل بيته وغير أهل بيته أن يفخروا به رحلاً ، لأنه تمتدك بأهداب
الشرف في جاهلية وإسلام ولم تنهوا عن أن ينطلقه اشرف من تمتدك بأهدابه من
تكاليف جسام ، فقال ثناء الناس حيناً وميتاً ، وقال ثواب الآخرة باستحقاق .
لقد كان لأفرع رجلاً . وكفى . .

القائد

لا يستطيع مستمع جهاد الأفرع أن يتبين منه انعقدية إلا في نطاق صوب
محدود ، لأن المؤرخين والذين نظروا إلى نواح معينة من حياته ، لم يسلطوا
الأنوار الكافية على حياته فئداً ورسداً .

وقد كان الأفرع رئيساً من رؤساء بني تميم ، وهي من القبائل العرسية
الكثيرة ذات التاريخ العربي في مجال العسكري قبل الإسلام وبعده ، وكانت
القائلا تقاتل بقيادة رئيسها في الجاهلية وفي أيام الإسلام ، فلا بد من أن لأفرع

مارس القيادة العنيفة في مدين القتال أيدم الجاهلية ، وفي مبدس جهد أيدم الإسلام ، ولكن الذين كتبوا عنه أهملوا تفصيل المعارك التي خاصه وثره القيادي فيها وتثيره في نتائج القتال ، ولم يدكروا له غير موقعين قيديين : الأول عبدة المقدمة لحيش خالد بن الوليد في فتح الأندلس ، والثاني مطاردة فنول القوات الفارسية إلى (الحورجان) وفتح هذه لمنطقة واسعه العنيفة ، تلك القوات التي كبدها الأحنف بن قيس ثمنها خسائر هادحة بالأرواح والمواد ، فتركت ميدان المعركة واسحت إلى (حورجان) .

وقد يعمز في فذة الأحنف بسبب تولية لأقرع منصبا قيدياً ، لأن الأحنف من بني تميم ولأقرع من بني تميم أيضاً ، ولكن هذا الغمز لا يصدر إلا من أعداء العرب والسمين أو من الذين ينقلون إلى العربية ما يكتبه أولئك الأعداء بدور تدقيق ولا تحجيص ، ولا يصدر عن منصف يعتمد الحق ولا يجيد عنه . أما العسكريون المختصون فلا يقعون في مثل هذا الخطأ ، لأنهم يعملون علم اليقين أن القريب قد يؤثر قريبه بالنسب المديونية المربحة في أيد السلام . وقد يؤثره بالنسب العسكرية في أيام الإسلام أيضاً ، ولكنه لا يؤثره بالنسب العسكرية في أيام الحرب ، فخطورة هذه المنصب على الذي يتولى القيادة ، لأنه قد يقتل أو يصاب بأذى ، وعلى الذي ولأه القيادة ، لأن إحقاق من ولأه يؤثر في سمعته ومصيره ، وعلى جيش الذي يقوده ، لأنه يقوده إلى الهزيمة ويكثده خسائر مادية ومعنوية . لذلك ليس هناك مسئول بولي منصب القيادة في أيام الحرب من لا يستحقه من ذوي قدره .

فإذا غر الأحنف في هذا الحال من لأعداء والمعرهم وجاهلاء ، فإن خالداً لا يمكن غزوه ، لأنه من بني مخزوم والأقرع من بني تميم ، ولأن حاله لا يوي غير أصحاب الكهنة والعائلة والمناضي الخجيد .

إن الأقرع تولى القيادة لكفايته بعافية ، وفي ذلك أدنى شك ، وليس كل

قائد يستطيع العمل بإمرة خالد بن الوليد ، ولا كلّ قائد يقدر على العمل بإمرته ، ولا يولي خالد كلّ مَنْ هبّ ودب منصباً قيادياً .

ومن المعلوم أنّ واجبات المقدّمة هي : الحصول على المعلومات المفصلة عن العدو ، وحرمان العدو من الحصول على المعلومات المفصلة عن قواتنا ، وحماية قواتنا في تقدمها وفي معسكرها ، وإدخال الجيش في المعركة بأمان .

وهذه الواجبات المعلومة ، بحاجة إلى قائد ماهر ، يتميز بالذكاء ، والشجاعة والاقدام ، وحضور البديهة ، ويعرف مبادئ الحرب ، وبالاندفاع ، وسرعة الحركة ، والقابلية على تحمل أعباء القتال ، وبإتقان الفروسية إتقاناً متفوقاً ، ويتحمل المسؤولية كاملة بلا تردّد .

هذا بالإضافة إلى قوّة الشخصية ، والإرادة القويّة ، والقابلية على إصدار القرارات السريعة السليمة ، وتبادل الثقة بينه وبين رجاله ، وتبادل المحبة ، والماضي القياديّ الناصع المجيد .

أما واجبات قوّة المطاردة ، فتحتاج إلى قائد قدير على قلب الانسحاب إلى هزيمة ، وتحطيم قوّة العدو مادياً ومعنوياً لإجباره على الاستسلام والرضوخ إلى شروط المنتصر ، وإلى قائد يتميز بحبّ المغامرة والاندفاع بسرعة فائقة عمقاً ، بالإضافة إلى صفات القائد الأخرى بصورة عامة وإلى قائد المقدّمة بصورة خاصة .

ونستطيع أن نستنتج أنّ الأقرع كان قائداً قديراً على إصدار القرارات الصائبة السريعة ، قادراً على وضعها في حيّز التنفيذ ، ذكياً ألمعيّ الذكاء ، شجاعاً مقداماً جسوراً ، حاضر البديهة ، عارفاً بمبادئ الحرب ، مندفعاً سريع الحركة ، مغامراً من غير تهوّر ، يثق برجاله ويشقون به ويحبّهم ويحبّونه ، له قابلية بدنية متميزة ، فارساً لامعاً ، قوي الشخصية ، صلب الإرادة ، له ماضٍ ناصع مجيد .

وهو فوق ذلك يتحمل المسؤولية كما يتحملها الرجال .

وأخيراً ، توجّ الأقرع حياته بالشهادة ، فسقط مضرّجاً بدمائه ، ولم يسقط من يمينه السيّف .

الأقرع في التاريخ

يذكر التاريخ للأقرع أنه كان رئيساً من رؤساء بني تميم البارزين في الجاهلية والإسلام .

ويذكر له ، أنه كان قاضياً يقضى بين الناس في مواسم الحج وعكاظ في الجاهلية ليس بين تميم حسب ، بل للحجيج جميعاً وللوافدين على عكاظ .

ويذكر له ، أنه كان من أوائل من أسلم من رؤساء بني تميم ، فقال شرف الصلبة وشرف الجهاد تحت لواء النبي ﷺ .

ويذكر له ، أنه كان من أبرز المؤلفة قلوبهم ومن بين الطبقة الأولى منهم ، وكان لأثره الحاسم في بني تميم إقبالهم على الإسلام ودخولهم في دين الله أفواجا .

ويذكر له ، أنه أسلم وحسن إسلامه ، فلم يرتد كما فعل كثير من رؤساء القبائل الأخرى ، وقاتل المرتدين قتالاً لا هوادة فيه .

ويذكر له ، أنه وهب نفسه للجهاد في حروب الردة وفتح العراق والشام وفارس وخراسان ، فشرق مجده وغرب ، ورفع رايات الإسلام خفاقة عالية شرقاً وغرباً .

ويذكر له ، أنه فتح (الجوزجان) ونشر العربية لغة والإسلام ديناً في أرجائها الواسعة الفسيحة .

ويذكر له ، أنه نال شرف الشهادة ، فضحى بروحه من أجل عقيدته ، ولم يضح بعقيدته من أجل روحه .

ويذكر له ، أنه كان مثلاً حياً لرؤساء قبائل الأعراب في الجاهلية والإسلام بما فيهم من مزايا وهنات .

رضي الله عن الفارس المغوار ، القائد الفاتح ، الشهيد البطل ، الأقرع بن حابس التميمي .

مجلة

مجمع اللغة العربية دمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقا »



المحرم ١٤٠٣ هـ
شهرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٢ م

فهرس الجزء الرابع للمجلد السابع والخمسين

الصفحة	المقالات
٥١٣	نظرة في معجم المصطلحات الطبية (٥٢) استدراك النقصان في مقالة أسماء د . حسي سبح
٥٥٩	أعضاء الانسان (١٣) د . محمد صلاح الدين الكواكبي
٥٧٨	الكيفية والتنوعية والجودة الأستاذ المهندس وجيه الحان
٥٨٥	الحمد والمدح والشكر والثناء والرضا د . عبد الكريم الهادي
٥٩٩	الأوزان والقياسات في شعر المتنبي رسالة لأبي العلاء المعري الأستاذ محمد طاهر الحمصي
٦١٥	أراجيز المقلين (القسم الثالث) الأستاذ محمد يحيى زين الدين
٦٣٩	مادام المصدرية الشرطية وشواهدا مقدمات في الاستعراب الجديد (١) الأستاذ سيحي البصام
٦٤٨	بحر والاستشراف الأستاذ عبد النبي مصطفى
٦٦٦	الأفزع بن حابس التميمي اللواء الركن محمود شيت خطاب
٦٧٧	ملخص من الرازي إلى ابن سينا د . فيصل دندوب

التعريف والنقد

٧٠٢	الأستاذ المهندس وجيه الشبان	(تأليف د . عبد الرحيم بندر)	دليل السماء والنجوم
٧٠٧	الأستاذ عبد الكريم زهور عدي	(تأليف د . يوسف مراد)	انقراضة عند العرب وكتاب الفراسة لفضيل الدين الرافعي